بدرجة «باشا»[٢]. وفي رسالة تركية تعود الى العام ١٦٠٩، يتبين ان الدولة العثمانية كانت تنقسم، في القرن السابع عشر، الى ٣٢ إياله، منها ١٤ ايالة عربية. مع ملاحظة ان هذه التقسيمات لم تراع «حدود العروبة» عن غيرها من بلاد الدولة. فقد كانت مدينتا نصيبين (في سوريا الحالية) وسنجار (في العراق الحالي) تتبعان مراكز ألوية غير عربية (في ديار بكر). وكانت إيالة الشام، الايالة الأم لفلسطين وشرق الاردن، تنقسم الى ١١ لواء (هي دمشق والقدس الشريف وصفد ونابلس وغزة وعجلون ولجون وصيدا مع بيروت والكرك مع الشوبك وعكا والبقاع)؛ بينما قسمت ايالة طرابلس الشام، وكانت إيالة مستقلة بذاتها، الى ألوية خمسة، وكذلك إيالة حلب التي قسمت الى سبعة ألوية[٣].

لقد مرّت هذه التقسيمات الادارية، بدورها، بتغيّرات متعددة. وفي الحولية الرسمية العائدة الى العام ١٩٠٤، يتضح ان البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية، كانت تنقسم، في مطلع هذا القرن، الى تسع ولايات وأربع متصرّفيات مستقلة، أي لا ترتبط بولايات بعينها، وإيالتين ممتازتين. وبالنسبة الى الشام، كانت هذه الولايات هي ولاية سوريا التي ضمّت لواءات الشام الشريف وحماه وحوران، والكرك (وفيها ٣١ قضاء)، وولاية بيروت التي ضمّت لواءات بيروت وعكا وطرابلس واللاذقية ونابلس. وكانت القدس متصرّفية مستقلة تتبع وزارة الداخلية مباشرة، وفيها أربعة اقضية، هي يافا وغزة وبئر السبع وخليل الرحمن؛ بينما كان جبل لبنان متصرّفية مستقلة لا يتبعها أي قضاء في فلسطين أو في الاردن[٤].

وفي الحقيقة، فان هذا التوزيع الاقليمي الاداري لم يخلق عوائق تذكر أمام حركة السكان العرب، وان كانت هذه العوائق (المحدودة) تُرَدُّ الى اختلاف مستوى التطور الاجتماعي، والاقتصادي، في هذه المناطق، وغياب المواصلات المنظمة، وسيطرة الولاة وتنازعهم، أو تمسّكهم بحدود مقاطعاتهم[٥].

يمكن، والحال كذلك، ان نلاحظ، مع ساطع الحصرى، ان التقسيمات الادارية المذكورة، تختلف كثيراً عن «التقسيمات السياسية» التي منيت بها البلاد العربية، ومنها منطقة الشام، منذ الحرب العالمية الاولى. فالمملكة الاردنية في الوقت الحاضر ما هي الاّ متصرّفية الكرك في القرن السابع عشر، وولاية سوريا في مطلع القرن العشرين. أمّا الضفة الفلسطينية التي أُلحقت بهذه المملكة منذ العام ١٩٥٠، فما هي الاّ أجزاء صغيرة من متصرّفية القدس ولواء نابلس الذي كان يتبع ولاية بيروت في مطلع القرن العشرين.

٢ ـ بالعودة الى أعوام الحرب العالمية الاولى، وما بعدها بوقت قليل، يمكن العثور على معاهدات عدة، كانت تتعامل مع مشرق الوطن العربي. منها المراسلات الشهيرة بين الحسين بن علي (شريف مكة) والسير هنري مكماهون (نائب ملك بريطانيا العظمى في مصر) بين تموز (يوليو) ١٩١٥ وآذار (مارس) ١٩١٦؛ والاتفاقية الفرنسية ـ البريطانية المعروفة باتفاقية سايكس ـ بيكو (نيسان ـ أبريل ـ أيار ـ مايو ١٩١٦)؛ واتفاقية فرنسية ـ بريطانية تعرف باتفاقية لندن، وتمثّل اتفاقاً حول ما يخص الحليفين من اتفاقية سايكس ـ بيكو، بتاريخ ١٩١٦/٥/١٦؛ ثم وعد بلفور الشهير في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧؛ والتصريح الانكليزي ـ الفرنسي في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨؛ ومعاهدة سيفر بين تركيا والدول الحليفة عقب نهاية الحرب العالمية الاولى، في العاشر من آب (اغسطس) ١٩٢٠. ولقد كان مصير منطقتي فلسطين وشرق الاردن موضع